مجلة التعليمية
ISSN: 2170-1717
EISSN 2602-6015

المجلد 16 / العـــدد: 01 (2026)، ص 891 - 906

الهواجس وتمثلات القلق النفسي في المجموعة القصصية "صلاة في الجحيم" لحفناوي زاغر_أنموذجا

Obsessions and Représentations of Psychological Anxiety in the Short Story Collection 'Prayer in Hell' by Hafnaoui Zagher: A Model

أحلام شمري*

جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة (الجزائر)

amelzahrat56@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2026/02/01 تاريخ القبول: 2026/05/01 تاريخ النشر: 2026/06/07

ملخص:

تسعى هذه الورقة البحثية إلى مقاربة الهواجس والقلق النفسي في المجموعة القصصية"صلاة في الجحيم"للقاص الجزائري حفناوي زاغر، من خلال تحليل تمثلات الاضطراب الداخلي، والكشف عن تجلياته السردية واللغوية.مع الوقوف عند العلاقة الجدلية بين البنية النفسية للشخصية والبنية الفنية للنص، كما تهدف إلى إبراز كيف استطاع القاص تحويل القلق النفسي من تجربة ذاتية معيشة إلى عنصر جمالي.يثري النص دلاليا ويمنحه عمقا إنسانيا.مما يجعل القصة القصيرة نموذجا دالا على اشتغال السرد الجزائري المعاصر على أسئلة الذات والقلق والوجود.

تأتي المجموعة القصصية"صلاة في الجحيم" لحفناوي زاغر ضمن هذا السياق الإبداعي الذي يراهن على استنباط الداخل النفسي، إذ يبين القاص نصه على تتبع حركة الوعي المضطرب، واستنطاق ما يعتمل في الذات من مخاوف وهواجس مكبوتة. فعنوان القصة يحيل منذ الوهلة الأولى إلى عالم نفسي مأزوم ؛ حيث تتكثف فيه معاني القلق والتردد والإضطراب.

الكلمات المفتاحية: الهواجس_ القلق النفسي_ القصة القصيرة_ صلاة في الجحيم_حفناوي زاغر

Abstract:

This research paper aims to approach the anxieties and psychological distress in the short story collection "A Prayer in Hell" by the Algerian short story writer Hafnaoui Zagher, through analyzing the representations of internal turmoil and revealing its narrative and linguistique manifestations. It also examines the dialectical Relationship between the Psychological structure of the character and the artistique structure of the text, and seeks to highlight how the short story writer managed to transform Psychological Anxiety from a lived subjective experience into an esthétique element That enriches the text semantically and gives

* أحلام شمري

It Human depth, making the story a significant model of how contemporary Algerian narrative engages with questions of self, Anxiety, and existence.

The short story collection "A Prayer in Hell" by Hafnaoui Zagher comes with in This creative context That bets on internalizing the psychological self, as the story Teller bases his text on tracing the movement of disturbed consciousness and eliciting the fears and suppressed anxieties That star with in the self.

Keywords: Obsessions_ Psychological Anxiety_ Short Story_ Prayer in Hell_ Hafnaoui Zagher.

. مقدمة:

تعد القصة القصيرة فضاءا سرديا مكثفا لتمثيل التحولات النفسية العميقة التي يعيشها الإنسان المعاصر. إذ لم تعد تكتفي بنقل الحدث الخارجي، بقدر ما انشغلت باستنباط الذات وكشف عن اضطراباتها الداخلية، وفي هذا السياق برز الاهتمام بالبعد النفسي بوصفه مدخلا أساسيا لفهم بنية النص السردي ودلالاته؛خاصة في النصوص التي تتخذ من القلق والهواجس محورا لتشكيل رؤيتها الفنية.

أصبح البعد النفسي في السرد القصصي الجزائري المعاصر من أبرز المنافد النقدية التي أسهمت في تعميق قراءة النصوص القصصية، لاسيما تلك التي جعلت من الذات الانسانية محورا لتجربتها الفنية. فلم يعد السرد يقتصر على تمثيل الوقائع الخارجية أو سرد الأحداث في بعدها الزمني الخطي، بل تجاوز ذلك إلى الغوص في أعماق النفس البشرية، والكشف ما يعتريها من توتر ،و اضطراب ،و قلق وجودي، فرضته تحولات الواقع وضغوطه الاجتماعية والنفسية.و في هذا الإطار أصبحت القصة القصيرة فضاءا ملائما لتجسيد هذه الهواجس.لما تتسم به من تكثيف لغوي وقدرة على التقاط اللحظات النفسية الحرجة.

ويعد القلق النفسي من أبرز الظواهر الشعورية التي برزت في القصة القصيرة، باعتباره حالة مركبة تعبر عن اختلال التوازن الداخلي للذات وصراعها مع محيطها ومع نفسها في آن واحد، وقد تحول هذا القلق في العديد من النصوص السردية إلى بنية دلالية تتجاوز بعدها النفسي الفردي.لتعبر عن أزمة إنسانية أوسع، تعكس إغتراب الانسان المعاصر، وشعوره بالتشظي. ومن هنا باتت الهواجس لا تقرأ بوصفها مجرد أفكار عابرة، بل كعلامات نصية مشحونة بالدلالة. تساهم في تشكيل القصة القصيرة وتوجيه مساراتها.

تأتي المجموعة القصصية "صلاة في الجحيم" لحفناوي زاغر ضمن هذا السياق الإبداعي الذي يراهن على استنباط الداخل النفسي، إذ يبين القاص نصه على تتبع حركة الوعي المضطرب، واستنطاق ما يعتمل في الذات

من مخاوف وهواجس مكبوتة.فعنوان القصة يحيل منذ الوهلة الأولى إلى عالم نفسي مأزوم ؛حيث تتكثف فيه معاني القلق والتردد والإضطراب.

كما تتجلى الهواجس في القصة بوصفها قوة محركة للسرد، تتحكم في إيقاعه وبنيته، وتنعكس على اختيارات الكاتب الأسلوبية، سواء من خلال اعتماد السرد الداخلي أو توظيف المونولوج النفسي أو تفكيك الزمن السردي، بما يتلاءم مع تشتت الوعي واضطرابه.و يؤدي هذا التداخل بين النفسي والفني إلى خلق خطاب قصصي مشحون بالتوتر، يجعل القارئ شريكا في معايشة التجربة النفسية للشخصية، ويسهم في تعميق الأثر الجمالي للنص.

تسعى هذه الورقة البحثية إلى مقاربة الهواجس والقلق النفسي المجموعة القصصية في "صلاة في الجحيم "للقاص الجزائري حفناوي زاغر، من خلال تحليل تمثلات الاضطراب الداخلي، والكشف عن تجلياته السردية واللغوية.مع الوقوف عند العلاقة الجدلية بين البنية النفسية للشخصية والبنية الفنية للنص، كما تهدف إلى إبراز كيف استطاع القاص تحويل القلق النفسي من تجربة ذاتية معيشة إلى عنصر جمالي.يثري النص دلاليا ويمنحه عمقا إنسانيا.مما يجعل القصة نموذجا دالا على اشتغال السرد الجزائري المعاصر على أسئلة الذات والقلق والوجود.

انطلاقا من هذه المعطيات نتساءل : كيف تتجلى الهواجس والقلق النفسي في المجموعة القصصية "صلاة في الجحيم"لحفناوي زاغر؟ وماهي الآليات السردية واللغوية التي اعتمدها الكاتب لتحويل هذا القلق من تجربة نفسية داخلية إلى بنية جمالية ودلالية فاعلة داخل النص؟.

_ما مفهوم الهواجس في القصة؟و كيف يرتبط بالقلق النفسي واضطراب الذات؟و ما تمثلات القلق النفسي على مستوى الشخصية والسلوك والوعي.؟

أولا:القصة القصيرة وعلم النفس:تقاطعات الأدب والتحليل النفسي:

ترتبط الدراسات النفسية للأدب انطلاقا من أفكار الطبيب التمساوي"سيغموند فرويد"الذي يرى أن العمل الأدبي عبارة عن رموز ودلالات متراكمة بعضها فوق بعض؛حيث لابد من التعمق فيها للكشف عن عموضه وأسراره."و لهذا فكل تعبير سلوكا كان، أم خيالا هو مجموعة معقدة من الرموز تحاول الكشف بطريقة غير مباشرة عما يتمنى هذا المرء فعله،و لكن الفرق الإجتماعي أو الأخلاق تفيده وتمنعانه من ذلك."[1] واللاوعي جذوره عميقة في حياة الإنسان العاطفية التي يفترض إشباعها.

وقد ساعدت قواعد التحليل النفسي في تفكيك معاني النص، وفهم طروحاته من خلال الأفكار المخزنة الكامنة في دواخل الشخص، والتي لا تنفعل إلا بتحريك اللاوعي:"من الواضح أن علم النفس من حيث هو دراسة للعمليات النفسية يمكن أن يدرس الأدب ما دامت النفس البشرية هي الرحم الذي تتكون فيه شتى مبدعات العلم والفن، لذلك يتوقع من البحث السيكولوجي أن يفسر لنا أولا طريقة تكوين العمل الفني، وأن يكشف لنا ثانيا عن العوامل التي تجعل من شخص ما فنانا صانعا."[2]

ارتبطت الدراسات الأدبية الحديثة بمفاهيم ومباحث ونظريات علم النفس، التي فتح مجالها أول الأمر النمساوي سيغموند فرويد بعد أن خلص أن الأعمال الأدبية والفنية الفريدة هي صنيعة نزوات نفسية وأزمات.

يتصل الأدب اتصالا وثيقا بعلم النفس،فالأدب كل ما يصدر عنه من نشاط أدبي يستلهم تجاربه العقلية والنفسية، وهو مرآة تتجلى عليها المشاعر الأدب والنص والصورة نفسية المبدعه"فالكشوفات التحليل النفسي مجال هام يمكن أن يقدم في خدمة الأدب، بحكم أن هذا الأخير في تعدد اختصاصاته ومجالات المقاربة المنهجية، وعليه فإن التأرجح نحو معرفة سيرة الكاتب أو ما يتعلق بجوانب حياته الخاصة."[3]

تعد الأعمال الأدبية الوسيلة التي بعبر المرء من خلالها عن جميع احتياجاته، ورغباته، وهو بمثابة تصور لهذا العالم، وإثبات للهوية، كما يمكنها تعريفها بالإبداع والإبتكار؛ فهو أحد الأشكال التعبير النابعة عن حاجات الإنسان، نلخص مجمل عواطفه وأفكاره، مستخدما بذلك أرقى الأساليب المتبعة في الكتابة، سواء في الرواية أو القصة.

القصة القصيرة بالنسبة للتحليل النفسي تشبه الحلم من حيث قصرها والكثافة والترميز وإزاحته من حيث الوظيفة فهي سرد"حكائي نثري أقصر من الرواية، وتهدف إلى تقديم حدث وحيد غالبا ضمن مدة زمنية قصيرة ومكان محدود غالبا لتعبر موقف أو جانب من جوانب الحياة."[4]

لقد أحرز التحليل النفسي نتائج باهرة في تعاطيه مع الأعمال الفنية بما في ذلك القصة، وقد شجع ذلك كثيرا من الكتاب على اعتمادهم على طروحات التحليل النفسي؛فتم تطبيق مسلمات نظريات التحليل النفسي كاللاشعور وعقدة أوذيب في مقاربة نفسية على النصوص القصصية.

ثانيا: سرد الهواجس وانكسار الذات في قصة"هواجس" لحفناوي زاغر

تعد القصة القصيرة من أكثر الاجناس الأدبية تطورا، لذا توصف بكونها جنسا أدبيا غير مكتمل. وأكثرها سعيا لإثبات الوجود أدبيا وفنيا ونصيا، وذلك من خلال نواحي عدة أبرزها السعي إلى الاتصال بالعلوم الانسانية الأخرى كـ(التاريخ، وعلم الاجتماع، والفلسفة،، واللسانيات الحديثة....الخ) وتمخض عن تلك الاتصالات أيضا لا سيما مع (**علم النفس**)، والعمل الدؤوب للمدارس النقدية السردية الغربية في دراسة النصوص القصصية، واستنطاق ظهور أساليب سردية حديثة تحمل الكثير منها أبعادا ومضامين نفسية وذهنية كـ(دراما الذهن، وتمثيل الوعي، والسرد النفسي وغيرها من الأساليب، التي تسهم في بناء العملية السردية واتمامها داخل النصوص القصصية.

فأخذت القصة الحديثة في الألفية الثالثة تستثمر "ما أعطاه رواد التحليل النفسي من تصورات عن الشخصية والكشف عن المخفي وما يظهر بوضوح "[5] وتركيزها على الشخصية ببعدها النفسي وأبعاد أخرى عامة منها متصلة بسلوكياتها الخارجية بالمجتمع وأثرها على باطنها النفسي، ونوازعها الداخلية .مما يجعل الشخصية في القصة وفق دراسات التحليل النفسي. "تكوينا يتضمن الأفكار والدوافع،والانفعالات، والميول، والاتجاهات والقدرات والظواهر المتشابهة، وكل الموضوعات التي لها علاقة بطبيعة الشخصية،أصلها، وتطورها وتغييرها"[6]

أصبح البعد النفسي الثيمة الرئيسة التي ترتكز عليها معظم الكتابات القصصية، بكل ما في ذلك البعد من انعطاف باطني، وتركيز على المحتوى الداخلي للشخصية، وما تنطوي عليه من حالات ذاتية نفسية، والتعبير عن مجرى تجربتها العقلية. ولعل من أهم الممهدات التي مهدت لانبثاق القصة النفسية، وظهورها إلى حيز الوجود القصصي وتميزها نظريات التحليل النفسي ورؤاها عن الشخصية القصصية، ودراستها لأبعادها الداخلية، وميولها ونوازعها ،وأنماط تفكيرها ،وبواعثها الشعورية ،واللاشعورية، ورصد كل ما ينتابها من حالات وما يؤثر بها، والتركيز على إظهارها ككيان مستقل. تمنح للشخصية القصصية لتنطق ما يجوب في أعماق نفسها، وبواطن أفكارها، وتفصح عن تأزماتها وصراعاتها الداخلية ،ورؤاها ،ومن أبرز هذه الأساليب (المونولوج بنوعيه المباشر وغير المباشر، ومناجاة الذات).

لقد لعب تيار الوعي دورا بالغا في صقل الإتجاه القصصي وعكسه بعمق حركة الأدب؛إذ يغوص السارد في أغوار عمق الشخصية، واستنطاق ما فيها من صراعات داخلية، وانكسارات، ومتناقضات.وقد تجسد هذا في قصة"هواجس"لحفناوي زاغر، من خلال قدرته على تحليل النفسي للشخصيات، والالتفات إلى مناطق معقدة

وغامضة، وتركيز الحكي على إبراز الجانب السيكولوجي للشخصيات. و ذلك من خلال تكوينها وبنائها، وإبراز أهم الأبعاد والسمات التي تتحكم في تفاعلها وتوجيه سلوكها من القلق، العدائية، الغضب، الإكتئاب...إلخ.فكل هذه السمات تمثل الجانب السلبي للشخصيات، وعدم قدرتها على مواجهة الواقع وحل المشكلات.

الشخصيات	الجانب الفيزيولوجي	الجانب السيكولوجي
علي الأقرع	/	الفقر_الخوف_العجز_الضحية_اليأس_ الإغتراب النفسي_الإنتماء_ الصراع مع الجماعات الإرهابية
عبد المستطع	/	الظالم_ الفاتك_ ينشر الرعب والهلع_ الإجرام.
أرملة نوارة	/	الضياع_الوحدة_الترف_ الإنحراف.

نلمح من خلال الجدول المبين تركيز القاص حفناوي زاغر على جاتب النفسي السيكولوجي؛باعتبار إهتمامه منصب حول الولوج إلى دواخل الشخصية، والكشف عن مكبوتاتها ومعاناتها."استحالت الحياة سجنا حصينا ضيقا، الزمن جحيما مستعرا يتأجج، الفضاء دخانا كثيفا خانقا، المكان قشرة هشة تتكسر تحت قدميه، ينحدر من خلالها إلى هوة سحيقة معتمة لا لون لها ولا قرار، ظلمات بعضها فوق بعض، صياح بدون صوت قوة مرعبة طاغية، تمتص النبرات، تسحق الحركة، تجثم كقليلة على الأنفاس. لماذا أنا وحدي دون الخلق أجمعين، أكون الفريسة والمفترس الضحية والمجرم، الفاعل والحدث أتآكل، التفت، أتأثر تحت وقع الهواجس والأوهام والشكوك ليس لي من أشكو إليه غير الله وحده يراني ويسمعني.....لاأدري من تمتد يده لينتشلني.....انتابني العمى فيما مضى فتخلت عن هدايتي ودربي.....فكان أن تلاشى صوابي فضعت وترديت، حيث تنهشني الوساوس، وتمضغني الظنون ويحرقني اليأس ويبددني الريح."[7]

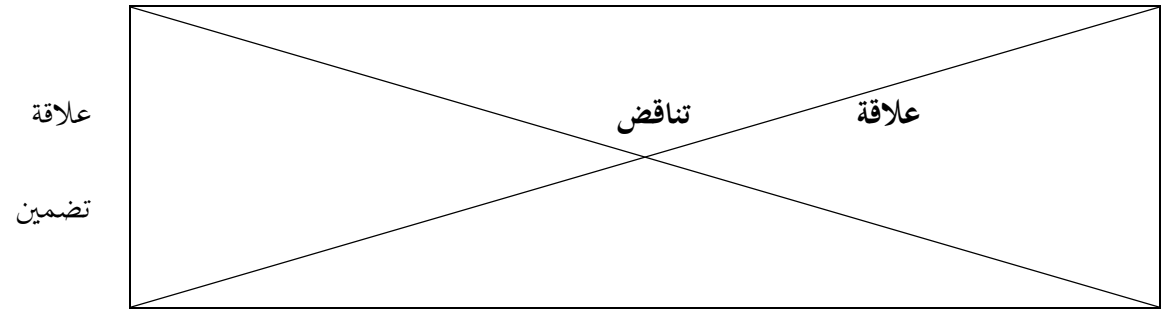
تصور القصة المعاناة والاضطهاد الذي شهده ذات البطل"علي الأقرع"من ظلم جعله يعيش في قلق، يصارع الواقع، تتحكم فيه قوى غيبية مجهولة، منها قلقه لمواجهة الظالم المتمثل في شخصية"عبد المستطع".الذي فرض عليه قيود جعلته يبحث عن الخلاص، وتجاوز قلقه باستعمال أحد آليات الدفاع النفسي وهي الكبت"داهمته أشجان الواقع البغيض، أدرك إستحالة النجاة، أن لا مهرب من الشر إلا بالتغلغل فيه، كل المنافد منعدمة، أحيا بالمنفى وحيدا، منسيا في جزيرة نائية لا يطرقه إنس ولا جن، لا تربطني بالحياة غير أوهام العودة، وفرص الخلاص

المستحيلة، من أنياب ومخالب الوحوش، أنا هنا تمضغني مشاعر الرهبة والموت، تعصف بي رياح الهلع والجنون، بينما معذبي وقاتلي هناك يرتع ويمرح، يغتصب اللذائذ ويجتني الأطايب، ينال ما يطمح إليه، يسخر المستحيل كبعض عبيده، يمتطي المخاطر، فتجنح به خانعة مستسلمة، تقطع المسافات لتخبطه الرحال حيثما يشاء."[8]

شكل التخييل الوسيلة التي ساعدت البطل على تفجير المكبوتات، والعقد النفسية، التي تشكو منها ذات البطل، معاناة للوحدة والعزلة واليأس، وهذا منذ الصفحات الأولى، بتعابير استعارية نقلنا بها القاص إلى داخل روحه المنهكة المتعبة،التي قتلها الجمود ،و الرتابة،و الفراغ، وهذا ما آلت إليه الظروف القاسية التي عاشها البطل؛حيث ظروف المعيشة القاسية وإفتقاده للعمل، جعلته يغترب إلى المدينة باحثا عن حياة ومعيشة أفضل، إذ ضاعت أحلامه في ثنايا الفساد والضياع، فتحول مسار حياته، من شخصية زاهدة، ملتزمة بمبادئ الدين الإسلامي،إلى شخصية تتخبط في ملذات ومغريات الدنيا."انتابني العمى فيما مضى فتخليت عن هدايتي ودربي، فكان أن تتلاشى صوابي فضعت وترديت، حيث تنهشني الوساوس وتمضغني الظنون، ويحرقني اليأس ويبددني الريح، تماسك لحظة استغفر فيها الله وذكره، ارتعش حسرة وندما، داهمته أشجان الواقع البغيض،أدرك استحالة النجاة أن لا مهرب من الشر إلا بالتغلغل فيه."[9]

إغترب البطل إلى المدينة باحثا عن حياة أفضل، إذ به ينظم إلى جماعات إرهابية، تقوم بعمليات القتل والسطو والسرقة ونشر الرعب، ومزاولته للملاهي وتعاطي الخمر والمقامرة، لهذا حوم الخوف والندامة على حياته.لأن مصيره ونهايته ستكون إما السجن أو القتل؛فهو دائما مهموم وفي حيرة من نفسه، يبحث عن طرق للخلاص والهروف من هذا الواقع والمستنقع الذي وقع فيه."كفاك هلوسة وعنها....الموت ينتظرك إن تقتل...فالقتل أفضل من الموت....و لكن من المقتول.....إنه واحد من اثنين إما البرىء الذي لا تعرف له ذنبا أو خطأ وأما القاتل الفتاك، الذي لا تقوى أن تحصى ضحاياه عدا.....المهلة تقترب اللحظات تنساب من قبضتك كذرات الرمل لا أرى لك أخ علي.....غير المواجهة....هي الهرب الوحيد، لا أجد لك عذرا غيرها.....يغتالني التردد، تسعفني رياح اليأس قابعا كعنكبوت هرم متشبث بخيوط واهية كالوهم، أنتظر ما لا يحدث بغير إرادة أو فعل....طحنت إرادتي."[10]

علي الأقرع علاقة تضاد عبد المستطع



الضعف والقهر والعجز علاقة تضاد السلطة والنفو

صور السارد هنا الحالة النفسية التي مر بها البطل، وعجزه عن تحقيق رغباته المكبوتة المتمثلة في الإنتقام، لكن عجزه أدى به إلى اللجوء إلى عوالم ميثافيزيقية؛ المتمثلة في ممارسة الجنس كحل لنسيان الوحدة والعزلة والقهر النفسي. فيمثل كلا من "علي الأقرع"و "أرملة نوارة"شخصيتان عانتا الوحدة والعزلة، فوجد بطل القصة"علي الأقرع" في ممارسة الجنس ملاذا لهروبه وعجزه وتخبطه في الواقع المرير.أما الأرملة نوارة رغم ترفها وثرائها وتتوفر في حياتها على كل الماديات من سكن وعمل ومال، لكنها تحتاج إلى شخص يملأ حياتها ويخرجها من وحدتها والفراغ الذي تعيشه."تناهت إلى أذني تنهدة إنسان، إلتقط أنفي رائحة عطر مثير، اختلست النظر وجدت إمراة إلى جانبي بابتسامة ساحرة، قررت في نفسي الانسحاب قليلا: لعلها تنتظر زوجا أو إبنا أو أي شخص أخر.من عادتي ألا أحب الجلوس إلى من لا أعرف هممت بالوقوف،فأجابتني عن الوقت، تذكرت أني بعت ساعتي....قلت ساعتي عند الساعاتي بها عطب كالذي في نفسي، ليتني أجد وسكت....قالت إني أعرف أكبر أخصائي للعلاج النفسي، هل تشكو علة محددة.....قلت وأنا أقف مستأذناعلى أنّ لي نفسا لم أعد أطيق معايشتها....قالت :إني وحيدة حكمة الله شاءت أن أقضي وحيدة، أملك بيتا كبيرا وحماما ومخبزة....و لكن لا يطعم لحياة العزلة ...و لعلك تعانيها.....شعرت بشيء يتحرك إلى جنبي مددت يدي وجدتها استطاعت بمهارة الخير العارف أن تؤجج في أعماقي حرائق اللذة والحب...أن تفجر في كياني ينابيع السعادة والمسرة."[11]

وظف القاص حفناوي زاغر آليات التحليل النفسي لرصد كل التفاصيل الصغيرة والمشاعر البسيطة لتصوير كل حالات التوتر والقلق التي مر بها البطل .

وفي الختام تعد قصة"هواجس"لحفناوي زاغر نموذجا دالا على القصة النفسية في السرد الجزائري المعاصر،إذ تنشغل باستنباط الذات الإنسانية، والكشف عن اضطراباتها الداخلية، خاصة ما يتصل بالقلق الوجودي والهواجس النفسية التي تهيمن على وعي الشخصية وتوجه سلوكها ورؤيتها للعالم.

ثالثا:الأحلام وتمثلات القلق النفسي في قصة" الحلم الأسود"لحفناوي زاغر

الأحلام هي عبارة عن سلسلة من التخيلات التي تحدث أثناء النوم.و تختلف هذه الأخيرة في مدى تماسكها ومنطقيتها، وتوجد الكثير من النظريات التي تفسر حدوث الأحلام؛بإعتبارها الوسيلة التي تلجأ إليها النفس لإشباع رغباتها، ودوافعها المكبوتة، خاصة التي يكون إشباعها صعبا في الواقع.

و هذه الأخيرة عبارة عن تلك" الصور التي تحدث أثناء النوم وتشكل مجموعة من الأحداث ذات الطابع المؤثر، والذي يخلق ذكرى عند الاستيقاظ،و هي تشكل من عدة مصادر داخلية وخارجية،و تتكون من محتوى ظاهر ومحتوى كامن، الأول يتضمن أحداث ومواضيع وشخصيات ومشاعر،و الثاني يتضمن مجموعة من المعاني المرتبطة بالرموز المعبر عنها في المحتوى، بل على العكس الظاهر."[12]تشكل الأحلام جزءا هاما من حياة الأفراد لا يجب إغفاله،بل على عكس يجب معرفته ودراسته عن كثب.

أصبح الحلم تقنية من تقنيات تيار الوعي، وطريقة من الطرق المعتمدة في استنباط ذاتية الشخصيات، ووسيلة من وسائل تفعيل المونولوج، وشكلا من أشكال تعددية الأصوات، يمنح الحلم حسب يونغ " صورة واضحة عن الحالة الذاتية أو الشخصية."[13] ،بوصفه أداة ووسيلة لإثارة كوامن المشاعر، وعند آدلر"محاولة للوصل بين أسلوب حياة الفرد وحياته الحقيقية، أي أن الأحلام هي الجسر الذي يصل بين أسلوب الحياة الذي تبناه الفرد ومشاكله الحالية."[14]

و يرجع لاكان الحلم إلى منظومة نصية، ذلك أن " اللاشعور يخفي المعنى من صور رمزية يحتاج إلى حل شفرتها."[15]

ويرى فروم أن الأحلام "قد تكون تعبيرا عن أرفع درجات تلك الوظائف وأشرفها."[16]والمشترك بين هؤلاء النقاد النفسيين المكمن اللاشعوري للأحلام ما يجعلها سلوكا غير قابل للفهم والتفسير بسهولة.

ظهر توظيف الأحلام في النصوص السردية الحديثة على اختلاف أنواعها ضمن أبعاد تخييلية متنوعة؛ إذ يعتمد السارد بناء الحلم بوصفه تقنية سردية تدعم التقنيات السردية الأخرى، وقامت نصوص سردية آخرى كاملة

على تجربة الحلم المتخيلة، وقد تعتمد أحلاما واقعية كما يصرح مؤلفها، مما يمنحها هوية فنية مستقلة، الذي يقف بين الفنون السردية الحديثة:القصة القصيرة، في بنيتها التخييلية والحلم في فضائه الواقعي والتخييلي.

عمل القاص حفناوي زاغر في قصة"الحلم الأسود"على توظيف الأحلام لتسليط الضوء على بعض جوانب من حياة ذات البطل المتشابكة؛حبث فرض الحلم تأثيره الفاعل في القصة "الحلم الأسود" بدءا بالعنوان بكل محمولاته النفسية، وصولا إلى خلفيات الحالة الحلمية للشخصية،انتهاءا بالإمكانيات الفنية، التي اعتمد القاص في تضمينه هذه البنية، التي هيمنت على أغلب قصص المجموعة، وإنزاحت بها النمط الشكلي والمضموني المعتمد في ميدان الكتابة القصصية في شكلها المعهود.

تراوحت قصة "الحلم الأسود"بين الحلم والواقع، وعرفت الأحداث فيها تناقسا وتألقا لافتا للنظر، وإن كان الحلم هو المهيمن حتى غذا هاجسا .جعل شخصية الحالم تعيش قصة حلمها، وتعيد تمثله في صور يوميات واقعها اليومي."وقفت برهة، لا علم لي بمداها، متجمدا، فاقدا الإرادة، والشعور لا هواية لي ولا انتماء، ظلام دامس، متلبد يحيط بي من جميع الجهات أحفر ببصري أغشية الدحية،فيرتد إليَ حسيرا كليلا مثلوما،يداي مشلولتان،قدماي عاجزتان، صوتي حشرجة مفككة،أجراسه مسحوقة النبرات....أحس بالغربة والوحدة....لا شيء يربطني بشيء لا أدري إذا ما كنت معلقا في الفضاء أو أقف على الأرض رخوة بالضباب، وهل في الصحوة أنا أم في النوم....فجأت لاحت خفقة ضوء تكشف في نقطة بيضاء، أخذت تتمدد في شكل أفقي، عدت كعصى متوسطة الطول،ثم جعلت تعلو وتنخفض تتذبذب كأنفاسي محتضر، حتى استوت فيما يشبه بابا مستطيلا لا تنفذ من خلاله العيان قطعة زجاجية مضيئة لا يكاد يلامسها البصر حتى يتقهقر، أخذ الضوء الصقيل اللامع يتراجعا تاركا أمامه ممرا متوسط العرض شديد الطول،شعرت بقوة تدفعني، تحثني إلى العبور،و في الجهة الأمامية توجد منصة ترتفع قليلا عن الأرض، وتمتد في شكل مستطيل يتربع على متنها مكتب،وراؤها عدد من الكراسي.....يشغل أحدهما رجل أسود الوجه والشعر يلحف عباءة سوداء أمامه دفتر ينام على ظهره قلم طويل،وفي الجهة اليمنى تتمدد مطرقة من الخشب....ذكر في الجالس بالمحكمة والقضاء"[17]

حمل هذا المقطع العديد من الاسترجاعات الحالم، أي شخصية البطل، كانت أحلامه عبارة عن كوابيس مقلقة ومرعبة، جعلته لا يعي ما المغزى من هذه الأحلام، وما الذي تطمح إليه هذه الأحداث التي شهدها الحلم.

لقد بلغ اليأس بالشخصية الحالمة درجة الاستسلام لواقعه الجديد المسكون بالخوف والقلق، وركن لهذه الحالة بشكل كلي، بل رفضت استعادة التوازن الذي غذا لا يعترف به.

الحلم	موضوع الحلم	نوع الحلم	مكان الحلم	شخصيات الحلم	الألوان	الحالة بعد الحلم
الحلم الأول	خوف من العدالة	كابوس وهلوسات	عدالة أو القضاء	رجال القضاء والمستشارين	طغيان اللون الأسود	التشاؤم والسلبية

نلمح من خلال الجدول الآتي مجموعة من الأحلام، التي تجلت في خوفه من العدالة،لأنه يرى لو حقق غايته المرجوة وما يطمح للوصول إليه، المتمثل في تخليص أهل المدينة من الظالم والفاتك الذي نشر الرعب ة الخوف في قلوبهم بقتله، غير أنه خائف من سجنه، ويرى أن العدالة تعتبر المقتول بريء، والقاتل مظلوم.

تكرر الحلم مع ذات البطل، ليصبح واقعا محيرا مخيفا لا مفر منه، يغذوها حبسا تفضل الشخصية أن تعيشه بشكل منفرد يعزلها عن الواقع الفعلي، ويجعلها تحت سطوة الفوضى والغياب واليأس والخذلان، وتتوالى حالات الفراغ والوحدة بصورها المختلفة، في مجمل ما يستبد بها من أحلام لا تحيد عن دلالات الفراغ.

"أدركت فجأة أن وقفتي قد طالت، حاولت أن أجلس سمعت صوتا مجلجلا كالرعد اهتزت له المقاعد(لا تفعل حتى يأذن لك)شعرت بعقدة لساني تنحل قلت ولم؟

سمعت صوتي كأنه خفيف ورقة يسقط في محيط الصمت، تنحنحت لأنظف حنجرتي، حاولت أن أشحن كل طاقتي في صوتي وأنا أعيد ما قلت ولم....؟تبسم الرجل الأسود وهو يرفع بصره نحوي ثم لاحظت على الجدار الخلفي وراء شبه القاضي لوحة خلفية تنبثق من العدم مكتوب عليها بخط أسود: اسمي ولقبي وتاريخ ميلادي وموطن إقامتي، وفي الأخير توجد جملة ناقصة مكتوبة بلون مغاير لونه أحمر، بدت لي وهي تتربص بالأسفل كقط متوحش ينام باحدى مقلتيه:أنت متهم بال...."[18]

مزال ذات البطل يواصل سرد أحلامه المرعبة والمخيفة؛ حيث أدرك الهدف والمغزى من ظهور الرجل الأسود الذي ظهر كهيئة قاضي، لتبليغه رسالة محتواها أنه متهم بجريمة قتل مع سبق الإصرار والترصد، غير أن هذا شكل مجموعة من المخاوف والكوابيس، الذي يجهل بها من المقنول ويتساءل عن أداة الجريمة، وتهاطلت عليه التساؤلات حول مصيره، ولماذا اختير دون غيره.

الأحلام	موضوع الحلم	نوع الحلم	مكان الحلم	شخصيات الحلم	حجم الحلم	المشاعر في الحلم	الألوان	الحالة بعد الحلم
الحلم الثاني	متهم بجريمة قتل	خوف ورعب وهلع	محكمة أو العدالة	القاضي والمستشارين	طويل	خوف وهلع	الأحمر	تشاؤم وتساؤل

نلمح من خلال الجدول أن أحلام التي سيطرت شخصية بطل في القصة، هي أحلام موضوعها يدور حول الاتهام بجريمة قتل؛حيث الاتهام الذي فرض عليه، تملكته حالات الخوف والرعب والهلع؛لأنه يجهل ما الغاية من إتهامه بجريمة قتل مجهول، لماذا اختير هو ذون غيره.

"مطرقة القاضي تدوي....بعود السكون، أظلمت القاعة لحظة..زززثم تدفقن الإضاءة من كل جانب، رأيت عبد المستطع يجلس وحيدا على مكتب العدالة.....هو بذاته هيئته ولباسه، قلت في نفسي:كيف النجاة وهو الخصم والحكم تلفت إلى كل الجهات لا أحد غيرنا أنا وهو.....أمر في بالدنو منه بإشارة من يده، تمسكت بمكاني حيث أنا

وقلت إني مبصر ومصغ

قال:

هل عرفت من أكون؟

قلت مستنكرا

لا.....وهل تعرفنيأنت؟

أنا سيدك وأنت عبدي

قلت:لا أعرف لي سيدا غير الله

قال:

و عبد المستطع

قلت:

ذاك عهد قد مضى وفات

قال:

أتظن نفسك قاتلي

قلت:

لو فعلت لما رأيتك هنا تحاكمني

قال ساخرا:

الذي ترى هو شبحي، ظلي....

قلت:

الذي رأى هو أنت ولعل القتيل هو خيالك وقاتل لا يعاقبه القانون

قال:

عن أي قانون تتحدث، أما قانوني أنا فإنه يعاقب على النية، على الخاطرة، على الشعور

قلت:

ما دمت أنت القاتل والحاكم وأنا الضحية والمتهم فافعل بي ما بدا لك."[19]

نلمح من خلال هذا المقطع أن ذات البطل مازال يواصل أحلامه، التي ظهرت في هذا الأخير أحلام تنبئية، تتنبئ بتحقيق ذات اليطل لرغباته التي كان يطمح في تحقيقها، وهي قتل الظالم الفاتك "عبد المستطع، الذي نشر الرعب والخوف في المدينة.

الأحلام	موضوع الحلم	نوع الحلم	مكان الحلم	شخصيات الحلم	حجم الحلم	مشاعر في الحلم	تعبيره عن الحلم	الحالة بعد الحلم
الحلم الثالث	توريط ذات البطل بجريمة قتل	تحقيق الرغبة وكابوس	قاعة المحكمة أو العدالة	القاضي وشبح عبد المستطع	طويل	خوف وهلع وهلوسات	خوف وعجز	تشاؤم وسلبية

نستقرأ من خلال هذا الجدول كان الحلم بمثابة رغبة تظافرت في ذهن الحالم، لتعيد من جديد صياغة الواقع يهفو الفؤاد إليه، وإلى ما فيه من صبوات تبدت كلها على صورة حلم؛ظهر هذا الأخير في شكل رغبات مكبوتة، لم تجد متنفسا إلى عن طريق الأحلام لتشبيع رغباته. شكلت هذة الرغبات هواجس وكوابيس في أحلامه.

وظف القاص الأحلام لإبراز الحالة النفسية التي عاشها ضات البطل من عجز في تحقيق رغباته وغاياته، التي شكلت له هاجسا وكابوسا أحاط به؛ حيث قام القاص بسرد هذه الكوابيس والأحلام كرؤى استشرافية لمستقبل وواقع الذي يعيشه البطل.

الخاتمة:

_ يركز أسلوب السرد النفسي أثناء توظيفه في القصة -كما تبلور في النموذج القصصي عينة البحث- على إبراز كل ما هو نفسي من بواعث نفسية ورغبات مكبوتة ومدركات، وهواجس، وحالات شعورية ولاشعورية تتصارع داخل خفايا العوالم الداخلية للشخصيات القصصية، ولاسيما خلال هذه المدة الزمنية، التي حرص فيها معظم كتاب القصة الجزائرية على عرض حالات التأزم، وحالات نفسية مضطربة تعصف بالشخصية، التي أخذت تمثل وفق رؤى ومقاربات واقعية، وبشكل عام في ظل تصاعد موجات القتل، والعنف....إلخ وغيرها من الأمور التي باتت تلحق به وتزيد من حجم مخاوفه وهلعه .

_يعد القاص حفناوي زاغر مغوار طرح خلاصة تجاربه النفسية متعددة تنوعت إسهاماتها بين الرواية والقصة،و لكن ظل حضوره الأقوى متجليا في المجال القصصي.

_ تكشف قصة "هواجس" لحفناوي زاغر عن عالم داخلي مضطرب، تتداخل فيه الهواجس النفسية والوجودية والاجتماعية، موظفة تقنيات سردية حديثة، لتؤكد أن القصة الجزائرية المعاصرة أصبحت فضاءَ رحبًا لتشريح الذات الإنسانية وهمومها العميقة.

_نكمن وظيفة الحلم في الكشف وتحليل الوقائع والأحداث غير الواضحة، ووسيلة أو طريقة يعتمدها الحالم لإشباع رغباته ودوافعه المكبوتة التي يصعب تحقيقها في الواقع.

_ عكس توظيف السرد النفسي من خلال القصة -عينة البحث - باعتماد الأساليب غير اللفظية (الأسلوب الذهني) فيما يخص حالتي الأحلام وأحلام اليقظة عن سبل مختلفة ومتنوعة اعتمدها القاص الجزائري لهذا التوظيف، إذ مزج بين الأثنين (الأحلام، وأحلام اليقظة)؛ بغية الايصال والإيحاء للقارئ عمق حجم الاضطرابات والتشتت، وعدم الاستقرار النفسي والذهني.

الهوامش:

[1] _إبراهيم محمود خليل، النقد الأدبي الحديث من محاكاة إلى تفكيك، دار الميسرة للنشر والتوزيعو الطباعة،ط1، عمان، 2003،ص52.

[2]_سامي الدروبي، علم النفس والأدب، دار المعارف، القاهرة، 2005،ص225.

[3]_فتحي بوخالفة، التجربة الروائية المغاربية، دراسة في التفاعليات النصية وآليات القراءة، عالم الكتب الحديث، ط1،إربد، الأردن، 2010،ص231.

[4]_عياش محمد،يوسف إدريس على أريكة التحليل النفسي القصة القصيرة"بيت لحم"، مجلة أمارات في اللغة والأدب والنقد،مجلد 6، العدد2022،2،ص13.

5 _ رولان بورنوف وريال أونيليه، عالم الرواية، ترجمة نهاد التكرلي، مراجعة :نهاد التكرلي ود. محسن الموسوي، دار الشؤون الثقافية العامة، سلسلة المائة كتاب الثانية، ط1، بغداد – 1991، ص: 153

[6]_ لازورس ريتشارد،الشخصية، ترجمة سيد محمد غنيم ومحمد عثمان نجاتي، دار الشروق، ط4، عمان – 1993، ص: 26.

[7]_حفناوي زاغر، صلاة في الجحيم، دار الحكمة لنشر والتوزيع، الجزائر، ط2009، ص47.

[8]_ حفناوي زاغر، صلاة في الجحيم، ص47.

[9] _ حفناوي زاغر، صلاة في الجحيم، ص46.

[10] _احفناوي زاغر، صلاة في الجحيم، ص48.

[11]_ حفناوي زاغر، صلاة في الجحيم،، صص52_54.

[12] _لوشاحي فريدة، دراسة أحلام الأطفال في ظل الحرمان الوالدي، أطروحة دكتوراه في علم النفس العيادي،إشراف رواق عبلة، جامعة منتوري، ط2011، ص12.

[13]_ يونغ كارل، علم النفس التحليلي، ترجمة نهاد خياطة، دار الحوار، ط2، اللاذقية، 1997،ص45.

[14]_أدلر ألفرد، معنى الحياة، ترجمة عادل نجيب بشرى، المجلس الأعلى للثقافة، ط1،القاهرة، 2005، صص141_142.

[15]_سلدن رامان،النظرية الأدبية الحديثة،ترجمة جابر عصفور، دار قباء، القاهرة،ط1998،ص132.

[16]_ فروم إريك، اللغة المنسية، ترجمة حسن قيسي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1995.ص49.

[17]_ حفناوي زاغر، صلاة في الجحيم، صص64_65.

[18] _ حفناوي زاغر، صلاة في الجحيم، ،صص65_67.

[19]_ حفناوي زاغر، صلاة في الجحيم،، صص68_69.

قائمة المراجع:

1_إبراهيم محمود خليل، النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط1، غمان، 2003.

2_ أدلر ألفرد، معنى الحياة، ترجمة عادل نجيب بشرى، المجلس الأعلى للثقافة، ط1،القاهرة، 2005

3_ حفناوي زاغر، صلاة في الجحيم، دار الحكمة لنشر والتوزيع، الجزائر، ط2009.

4_ رولان بورنوف وريال أونيليه، عالم الرواية، ترجمة نهاد التكرلي، مراجعة :نهاد التكرلي ود. محسن الموسوي، دار الشؤون الثقافية العامة، سلسلة المائة كتاب الثانية، ط1، بغداد – 1991.

5_ عياش محمد،يوسف إدريس على أريكة التحليل النفسي القصة القصيرة"بيت لحم"، مجلة أمارات في اللغة والأدب والنقد،مجلد 6، العدد2، 2022.

6_ فتحي بوخالفة، التجربة الروائية المغاربية، دراسة في التفاعليات النصية وآليات القراءة، عالم الكتب الحديث، ط1،إربد، الأردن، 2010.

7_ فروم إريك، اللغة المنسية، ترجمة حسن قيسي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1995.

8_ سامي الدروبي، علم النفس والأدب، دار المعارف، القاهرة، 2005.

9_ سلدن رامان،النظرية الأدبية الحديثة،ترجمة جابر عصفور، دار قباء، القاهرة،ط1998.

10_ لازورس ريتشارد،الشخصية، ترجمة سيد محمد غنيم ومحمد عثمان نجاتي، دار الشروق، ط4، عمان – 1993

11_ لوشاحي فريدة، دراسة أحلام الأطفال في ظل الحرمان الوالدي، أطروحة دكتوراه في علم النفس العيادي،إشراف رواق عبلة، جامعة منتوري، ط2011.

12_ يونغ كارل، علم النفس التحليلي، ترجمة نهاد خياطة، دار الحوار، ط2، اللاذقية، 1997.